



صورة رقم (١)

النَّائِمُ اليَقْظَان

والاحباب لعلهم يرقون لحاله ، وينقلبون
على مساعدته ، من بعد ان بدد على
منادمتهم نصف ثروته ونقوده . الا
انهم لم يعبأوا به ، ولم يحفلوا بأمره .
وابعدوه وطردوه نظراً لما بدا لهم من
بؤسه وفقره . فتلك هي سنة الله في
خلقه ، تراهم يتقربون اليك اذا توسموا

● كان رجل تاجر في ايام هارون
الرشيد اسمه ابو الحسن الخليل . مات
والده وخلف له مالا كثيراً ، فقسمه
نصفين ، اداخر النصف الاول ، وانفق
النصف الثاني على الاصدقاء والاصدقاء
والندماء . ولما انفق كل ذلك النصف
من ماله ، توجه الى اولئك الاصحاب

هيك الضنى والمسة ، وينفرون منك اذا
بدا عليك القمر والفاقة .

عند ذلك أخرج أبو الحسن نصف
ماله الثاني وعاهد نفسه ألا يتادم أحدا
من أصدقائه وخلاته ، وأل على نفسه
ألا يشمل بكرمه ويدعو إلى بيته أحدا
ألا إذا كان غريبا ، حتى إذا تادمه ليلة
واحدة امتنع بعدها عن السلام عليه أو
الانفات إليه . فقل ذلك تحاشيا لشبه
الافقة والصدافقمة وناديا لبعه الله .

وسار يجلس على الجسر في كل ليلة ،
وينظر ويحدق النظر في كل من يمر به ،
فإذا رآه غريبا دعاه إلى منزله وتادمه
شوال تلك الليلة ، حتى إذا كان الصباح
صرقه وطوى مسجته ، فلا يعود يسلم
عليه إذا رآه صدفة ، ولا يدعو إلى بيته
مرة ثانية .

وافق ذات ليلة أن مر به ، وهو
جالس على الجسر ، الخليفة هارون
الرشيد ، متخفا كعادته . ولم يكن معه
من حاشيته أحد إلا « مسرور » سائقه .
فقطه أبو الحسن تاجرا غريبا بصحبته
شريك له فدعاه وصديقه إلى منزله
والتم في دعوته ليكونا في تلك الليلة موضع
سباقته ومناذمته . وقبل الخليفة بالدعوة
من بعد تردد . فهو لا يخرج متخفيا في
التسل على هذا النحو إلا للاطلاع عن
قرب على أحوال رعيته . فقد كان عادلا
رحيما بالغ الاهتمام بشئون أفراد شعبه
يفضح في سبلهم براحته . لذلك كان
مترددا في الاستجابة لرقة أبي الحسن
وفي تلبية دعوته . وما كان ليحرم نفسه
من متعة التحوال متخفيا في أحياء عاصمة
ملكه ، والوقوف مباشرة على احتياجات
الناس وشكاوى المتكلمين منهم ، لولا
دمالة أبي الحسن والحاجة في توسلاته
لقبول دعوته ، وشعور الخليفة بأن « متعة »

أخرى تنظره ، في بيت أبي الحسن هذا
إذا هو إلى دعوته .

ولم تمض دقائق حتى كانوا في منزل
أبي الحسن ياكلون ويسمرون . وشمر
الخليفة بالقبضة والسرور للحكايات
والترائد التي رواها له أبو الحسن .
كما شمر بالتقدير والاعجاب لما بدا من
كرمه ونفوته . فقال له الخليفة : « يا
أخي : هل في خاطرك شبهة تريد أن
تقضيها أو حسرة تريد التخلص منها ؟
فأجاب أبو الحسن : « والله ما في قلبي
حسرة إلا أن أتولى الأمر ، والله حتى
انتقم من جيران لي ، لا هم لهم إلا
استقالة الناس والوشاية بهم ونشويه



صورة رقم (٢)

سمعتهم . فهم لا يصوتون إلا أنفسهم
ويستغصون كل من سواهم . فلم
حدثت المجرة وأصبحت الخليفة ولو
ليوم واحد أو ليلة لفريق كل واحد
منهم أو بمائة سوط وبعت من بنادي
عليهم : هذا جزء القال والليل ونشويه
سمة الآخرين .

لم انضم الخليفة أول قرصة سحت
له فوسم قليلا من المخدر في كأس الماء
الذي كان يشرب منه أبو الحسن . ولم
تمض لحظة حتى شرب أبو الحسن من
ذلك الكأس ، فغاب عن الوعي ووقع على
الأرض كالقتيل . ونهض الخليفة بعد
بعد ذلك وانطلق عابدا إلى قصره إلا أنه
التفت إلى سيفه مسرورا ، فقل
خروجه من البيت ، فكتفه يحمل أبي
الحسن على ظهره ، وهو في غيبوته ،
وأمر بإحضاره إلى قصره . (أنظر
صورة رقم ٢) .

ولما أصبح الصباح واستيقظ
أبو الحسن من نومه وصحا من غيبوته ،
وجد نفسه في سربو الخليفة الوتر تحيط
به جوارى القصر ، ويقف أمامه الوزير
(أنظر صورة رقم ١) . عندئذ انت إلى
الخادمة فقالت له : « يا مولانا الخليفة
أسعدت صباحا وسألك فقيت ليلة
هادئة غنية » . نسك أبو الحسن لهذا
الكلام وظن أنه من نسج الأحلام
والأوهام . ولم يلبث أن فتح عينيه ودار
بنظره في الحجرة الفخمة التي كان فيها
وإذا بحيطانها قد رصنمت بالذهب
وسائرها قد صنعت من الحرير . ورأى
فيما رأى الآيات الذهبية والفضة
والبنسطة الضخمة . وفوق هذا وذلك
رأى في حجرته تلك عددا كبيرا من الجوارى
والخدم والماليك والحشم ، بعضهم
يقبل الأرض أمامه ، وبعضهم يدور
حواليه ، والكل يردد بصوت واحد :



صورة رقم (٣)

« سمعا وطاعة أيها الخليفة ! » فحضر
أبو الحسن وقال في نفسه : « نرى هل
أنا في عالم الأحلام أم أنا في عالم اليقظة » .
فعلوا ذلك طمعا وفق تعليمات هارون
الرشيد الخليفة . فقد أمرهم بأن يعاملوا
أبا الحسن ويتصرفوا أمامه وكأنه هو
الخليفة . فأحسنوا التصرف وانقشوا
التشيل حتى غلب أبو الحسن على
أمره ، وبدأ يعتقد أنه هو أمير المؤمنين
وخليفة المسلمين . وحراسه على
التحقق من ذلك والتجزم به على نحو
قاطع عند أبي الحسن إلى « خنصر » .
وإذا به يشعر بالآلام الذي يشعر به
الإنسان وهو في بقلته . كذلك شمر
بمثل ذلك الآلام لدى بعض إحدى الجوارى
ينسره تنفيذا لأمره . ناكذ أبو الحسن
بعد ذلك أنه في عالم اليقظة لا في عالم
الأحلام وأنه قد أصبح الخليفة بقسوة



صورة رقم (١١)

قادر . حدث ذلك كله على مرأى من
الخليفة الحفيظ . هارون الرشيد .
وقد كان مفتشاً وراء الستار حيث تمكن
من أن يسمع ويرى دون أن يرى .
حينئذ دعا أبو الحسن الوزير جعفر
البرمكي وقال له : « اتزل الآن أنت
وإلى المدينة وأذهب إلى الخي الشترى
من العاصمة وإلى الشارع الرئيس في

بالخيال . وأركبهم على نحو مقلوب بحيث
تنتجه وجوههم وأنصارهم إلى الخلف
وتظهرهم إلى الأمام » الظر سورة ٥ .
ثم دنا بهم المدينة ومعهم المنادي يصيح
وينادي : « هذا جواد طويل اللسان وأكثر
الكلام وكل واشئ تمام » . فقتل جعفر
البرمكي الأرض بين يديه وأمثل الأمر
بالطاعة . وأطلق إلى المدينة وتعد أوامر
أبي الحسن (الخليفة) .
ولما انتصف الليل أمر هارون الرشيد
الخليفة بوضع مائة المخدر في كأس الماء
التي كان يشرب منها أبو الحسن بسحب
لحظة ولحظة . وما أن شرب من تلك
الكأس حتى نام ، وسبق رأسه وحليته
وبات في غيبوبة . فخرج الخليفة الحفيظ
من خلف الستارة تكاد يخفى عليه من
شدة الضحك والقهقهة . فامر مسروراً
سيافه بإعادة أبي الحسن إلى منزله كما
امر خادماً آخر من حاشيته بمساعدة
اسرود في مهمته الظلمة سورة
رقم ١٣ .

صورة رقم (٥)

وعند الصباح . استفاق أبو الحسن
وهو يفسح : « يا نقاحة ، يا واحة
القلوب ، يا سكة ، يا تحفة .. » .
ولم يزل يصيح صراخاً
المصراري حسبي الله الله فقالت :
« اسم الله حوايك . قم يا ولدي يا
أبا الحسن ، فأت تعلم ... » ففتح
عينيه فوجد عند رأسه عجوزاً متفهقاً
وقال لها : « من تكونين ؟ » فقالت له :
« أنا لك » . فقال لها : « تكلمين بأعجوبة
لأنك امرأتين ... » فصرخت أمته :
وقالت له : « سلامة فكلك يا ولدي !
استكنت . ولا وصل لكأمك إلى مسامع
الباغية فهلك روحك وتذهب
أموالك .. » أطلق أبو الحسن
حينئذ . وأطلق العنان لعقله وخياله .
وروى لأمته ما قد حدث له في أمسه .
ولم يكن من الصبر على أنه أن تقتبف
بأن ما حدث له إنما هو من تسبيح
أوجامه وأجلاله .



